مقدمة

الموت فى الفكر الأفريقى

منذ أن وعى الإنسان حقيقة وجوده فى هذا الكون ، أدرك أن الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة[1] . فهو النهاية الطبيعية والحتمية لكل حياة ، بل إن الآلهة أنفسهم لا يستطيعون دفع الموت بعيدا عن من هو عزيز لديهم حينما يحين أجله[2] .

والموت عند هوميروس هو بصفة عامة انعدام تلك المميزات والخصائص التى تجعل الحياة جديرة بأن نحياها[3] . فالإنسان مكون من جسد وروح ، وعند الموت تترك الروح الجسد وتذهب للعالم الآخر ، بينما يبقى الجسد ، الجزء المادى القابل للفناء ، فريسة لما قد يفعله به الأحياء سواء خيرا أو شرًا[4] .

فبحلول الموت يتلاشى الإنسان بكل حيويته وفطنته وذكائه ، ولا يبقى سوى طيف لا حول له ولا قوة[5] . وهو ما أفزع أخيليوس أشد الفزع وجعله يصرخ قائلا إن الحياة على الأرض ولو كانت قاسية ، لهى أفضل من الجلوس على كرسى الحكم فى مملكة الأشباح[6] .

ولكن هذا النفور من الموت وعالمه لا يؤدى بالضرورة إلى الجبن وتجنب ملاقاة الموت بأية وسيلة ، على العكس من ذلك فإن هوميروس يمجد الشجاعة فى القتال ويعلى من شأن الموت فى ساحة الوغى[7] . وما دام الموت هو النهاية المحققة والحتمية ، سواء للمتقاعس الذى لا يعمل شيئا وللبطل المقدام الذى ينجز الكثير[8] . فمن الخير أن يموت الإنسان بطلا ، على أن تلصق به صفة الجبن والتخاذل حتى فى موته .

وفى قصيدة « أنساب الآلهة » يشرح هسيودوس قصة الكون والخليقة ويرى أنه فى البدء كانت الفوضى ، وأن الكون نشأ من زواج السماء والأرض ، وأن الكون مر فى بداية نشأته بحركة بطيئة ، لكنها متصلة ، من الفوضى إلى النظام[9] .

ولقد قسم هسيودوس التاريخ خمس مراحل : أولها العصر الذهبى ، أى عصر السلام والكمال ، وفيه عاش الناس يرفلون فى السعادة ، وكانت الأرض تنتج الطعام للناس من تلقاء نفسها وكان أهل ذلك الزمان لا تدركهم الشيخوخة ، ثم ماتوا ، وكان موتهم أشبه

بنوم خال من الآلام . ثم خلقت الآلهة جيلا آخر هو العصر الفضى ، وهو أحط منزلة من العصر الأول ، وفيه عاش البشر إلى أن بلغ عمرهم مائة عام . ثم خلق زيوس جيلا آخر فى العصر النحاسى ، رجالا أعضاؤهم وأسلحتهم وبيوتهم من نحاس ، وحارب بعضهم بعضا فسلط عليهم زيوس الموت الأسود .

ثم عاود زيوس التجربة وخلق جيل الأبطال الذين حاربوا فى طروادة ولما مات هؤلاء سكنوا بأرواحهم الخالية من الهموم فى جزر الأبرار وجاء بعدهم عصر الحديد ، عصر الحزن والبغضاء لا راحة فيه لأحد من الأسى والإرهاق نهارا والهلاك ليلا .

هذه النظرة التشاؤمية[١٠] . التى قدمها هسيودوس فى « الأعمال والأيام » توضح بما لا يدع مجالا للشك أنه يرى أن البشرية تسير من سئ إلى أسوأ ، لكنها مع ذلك تمدنا ببعض النقاط الهامة حول تصور هسيودوس للموت وللحياة فيما بعد الموت .

فالموت مقترن عند هسيودوس ، كما هو فى الذهن الإغريقى عموما ، بالنوم ، ومن تحبهم الآلهة تجعل موتهم نوما هنيئا خاليا من الآلام . ولكن فى أحيان أخرى يكون الموت عقابا ينزله الآلهة بالبشر لسوء سلوكهم وفسادهم مثلما حدث فى العصر النحاسى .

إن حديث هسيودوس عن المصير فيما بعد الموت قاصر على الإشارة إلى جزر الأبرار وانتقال جيل الأبطال إليها بعد موتهم . أما بالنسبة لمصير الموتى العاديين فلم يشر إليه هسيودوس ، وقد يكون ذلك لتوافق تصوره مع تصور هوميروس .

وفى مواكبة التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى طرأ على المجتمع الإغريقى تطور الشعر من الملحمى إلى التعليمى ثم إلى الشعر الغنائى وذلك لتزايد إحساس الفرد بذاته[١١] .

ومن أهم أشكال الشعر الغنائى الشعر الأليجى . ولقد نشأ الوزن الأليجى بإدخال تطوير على الوزن السداسى الملحمى وذلك لجعله مناسبا أكثر للغناء[١٢] .

ولقد كان كاللينوس من أول الشعراء الغنائيين الذين استخدموا الوزن الأليجى وله أبيات يحث فيها مواطنيه على الدفاع عن مدينتهم ضد الأعداء ، يقول فيها :

« إن موت رجل مقدام خسارة فادحة للناس جميعا
فهو جدير فى حياته أن يكون نصف إله

كما أنه يبدو فى أعينهم مثل البرج الحصين
إذ أنه بمفرده ينجز أعمالاً جديرة برجال عديدين »[١٣] .

وهذه الأبيات تحث على القتال والموت فى ساحة الوغى بشجاعة ، فلن يطمس الموت ذكر الأبطال الشجعان بل ستظل شجاعتهم وذكراهم فى قلوب أهل مدينتهم وسوف يبكونهم ويحزنون عليهم ، وهو نوع من العزاء والسلوى .

ومع نهايات القرن السابع ق .م . ظهرت أليجيات ممنرموس الكولوفونى العاطفية ، وفيها يتغنى ببطولات إغريق آسيا الصغرى وكفاحهم ضد الليديين ، لكنه يكرس الجزء الأكبر منها للحديث عن الحب والشباب والتحسر على أيام البهجة والمرح التى ولت واقتراب الشيخوخة ومن بعدها الموت[١٤]

ومن أجمل ما كتبه ممنرموس عن الحياة والموت :

« إننا مثل الأوراق التى تكتسى بها الأشجار فى فصل الربيع المزهر والتى تنمو بسرعة فى ضوء الشمس ، إننا مثلها نستمتع بزهرة شبابنا والأقدار السوداء تتربص بنا : إحداها تدخر لنا فى ختام الشيخوخة الزاخرة بالمعاناة ، والأخرى تحمل لنا الموت ، وإن زهرة الشباب سريعة الزوال مثل ضوء الشمس الذى ينتشر على الأرض وعندما يذهب عنا ريعان الشباب فالموت الذى يحل بسرعة أفضل من الحياة[١٥] .

ورغم نغمة الحزن التى تسرى فى هذه الكلمات ، فإن ممنرموس يرى أنه من الخير أن يموت الإنسان فى سن معقولة نسبيا قبل أن يتجرع مرارة كئوس الشيخوخة وقبل أن يبلغ من العمر أرذله[١٦] .

وإذا ما انتقلنا إلى أشعار تيرتايوس الإسبرطى فسنجدها بحق تجسيدا للشخصية الإسبرطية ، لذا ظلت تُغنى حتى بعد مضى عدة قرون على وفاته[١٧] .

وتدور إحدى مقطوعاته الشعرية حول مفهوم الفضيلة ، وكيف يكون الرجل الفاضل فى حياته ومماته من وجهة النظر الإسبرطية . وتصور تيرتايوس للرجل الفاضل قريب إلى حد كبير من صورة هكتور كما رسمها هوميروس ، فهو رجل يعيش ويموت من أجل شعبه ومدينته ويصور الشاعر المكاسب التى تعود على الرجل الفاضل فى موته وفى حياته ، وهو يقدم الموت على الحياة ، مما قد يثير تعجب البعض ، لكن العالم C.M.Bowra يقول :

إن تقديم الموت على الحياة هو من الأمور الطبيعية بالنسبة لترتايوس الإسبرطى الذى يعتقد أن الموت فى سبيل الوطن أفضل من الحياة العادية[١٨] .

يقول تيرتايوس فى هذه المقطوعة الشعرية إن الرجل الفاضل إذا ما لقى حتفه دفاعا عن وطنه فإن ما سوف يجنيه فى موته سيكون عظيما .

« فسوف يرثيه الشباب والعجائز وسوف تبكيه المدينة كلها فى أسى عميق وسيبقى قبره وأبناؤه إعلاما يعرفهم جميع الناس وكذلك أولاده ، وأولاد أولاده ، ومن يأتون من بعدهم فلن تموت شهرته العظيمة أو اسمه وإنما سيظل خالدا ، حتى وهو فى باطن الأرض » .

إن سيرة الرجل الفاضل سوف تبقى إلى الأبد بين أهله ، وسوف يتردد اسمه على الدوام بين جدران مدينته . فهو سيبقى فى موته ، كما كان فى حياته ، منتميا إليهم ، وسوف يحتفظون بذكراه فى قلوبهم ، وهذا هو الخلود كما تصوره تيرتايوس .

وهو معنى قريب مما كتبه سولون فى أحد أشعاره عن موقفه من الحياة والموت إذ يقول :

« ليت الموت لا يلحقنى دون أن يذرف علىّ الدمع بل ليتنى عند موتى أترك لأصدقائى الآلام والنحيب »[٢٠] .

فهو يأمل أن يبكيه الأصدقاء ، وأن يشعروا بالحزن والأسى لفقده عندما يموت . وهو معنى يقترب مما كتبه تيرتايوس ، وإن كانت رغبة سولون مغرقة فى الذاتية ، بل فى الأنانية .

أما ثيوجنيس الميجارى الذى تنسب إليه الكثير من الأشعار الحكيمة ، فقد ازدهر حوالى عام ٥٤٠ ق .م ، ولقد كتب العديد من القصائد التى وجهها لصديقه الشاب كيرنوس .

ويرى ثيوجنيس أن قصائده تلك سوف تخلد صديقه كيرنوس حتى بعد موته ، ويخاطبه قائلا :

« عندما تهبط إلى أعماق الأرض المظلمة وتصل إلى مقر هاديس الزاخر بالأنين والأحزان فإنك حتى بعد هذا ، بعد أن تصبح فى براثن الموت لن تفقد شهرتك بل ستظل خالدا بين البشر وستحتفظ بشهرتك دائما ، ياكيرنوس ، عندما تجوب بلاد اليونان وجزرها »[٢١] .

ويؤكد ثيوجنيس هنا أن شعره يمنح أولئك الذين يمدحهم حياة بعد الموت . وهذا الخلود الذى يكفله الشعر ليس مجرد كلمة جوفاء ، وإنما هو بعث حقيقى للذين يخلدهم الشعر ويمدحهم[٢٢] .

وفى بعض الأحيان يسود التشاؤم فى أشعار ثيوجنيس ، فهو لا يأمل فى الحياة الدنيا ولا فى الآخرة ويقول عن البشر :

« الآ يكونوا قد ولدوا قط هو أفضل ما كان ممكنا أن يحظى به أبناء الأرض من القدر . أما إذا ولدوا بالفعل فعليهم أن يمضوا بسرعة نحو أبواب هاديس ، ليرقدوا هناك فى القبر تحت كومة من تراب الأرض »[٢٣] . ولقد انعكست هذه النظرة التشاؤمية فى تراجيديات سوفوكليس حيث يقول[٢٤] :

« إن عدم القدوم إلى الحياة لأمر يخرس كل قول . ولكن ما دام المرء قد ولد فإن أفضل أمر يلى ذلك هو الرحيل عن هذا العالم بأقصى سرعة ممكنة » .

ومع نهايات القرن السادس ق .م . بدأ فن كتابة الأبجرامات فى الظهور وظل يتطور حتى وصل إلى أقصى ازدهار له إبان العصر السكندرى . والأبجرامة تخليد لذكرى أحد الأشخاص تنقش على قبره . وأقدم ما عثر عليه من الأبجرامات يرجع إلى نهاية القرن الثامن ق .م لكنه وجد على درجة من السوء لا تسمح بدراسته[٢٥] .

أما المثال الكلاسيكى للأبجرامات فهو ما كتبه Cleobulus على قبر ميداس : Midas

« أنا عذراء من البرونز موضوعة على قبر ميداس . وطالما تجرى المياه الرقراقة وتزدهر الأشجار الباسقة ، وتسطع الشمس المشرقة ، وطالما يرسل القمر ضياءه وتجرى الأنهار فى أوديتها ، ويفور البحر بأمواجه . فإننى باقية هنا على مقبرة هذا المستحق لدمع هتون ، وسأعلن للمارة أن ها هنا قد دفن ميداس » .

ولقد أسهم سيمونيديس فى تطوير وإثراء هذا الفن الذى نسب إليه[٢٦] . وينتمى سيمونيديس إلى جزيرة كيوس . ولقد ولد قبل منتصف القرن السادس ق .م . وعاش حتى سن متأخرة ، ولقد عاش بعض الوقت فى أثينا تحت حكم بيزستراتوس ، ثم انتقل ليعيش فى صقلية . وكتب سيمونيديس معظم أعماله فى القرن الخامس ق .م .[٢٧] .

ولقد نظر سيمونيديس إلى الموت على أنه كارثة يمكن أن تحل بالإنسان فى أية لحظة ومن ثم يجب أن يكون مستعدا لها[٢٨] .

ويشترك سيمونيديس مع معاصره الأصغر بنداروس فى نظرته التشاؤمية ، فحينما نظر بتأمل إلى الحياة وجد الموت حاضرا فى كل مكان وكل لحظة ، وراعه كيف تنتهى الحيوية والقوة والثروة فى لحظات ، فكتب[٢٩] .

« إن كل الأشياء تنتهى إلى خاربيديس المخيف[٣٠] حتى الفضائل الكبرى والثروة » .

ولقد تجلت كراهية سيمونيديس وفزعه الشديد من الموت فى استخدامه تعبير خاربيديس المخيف . ولقد ساعد على تقوية هذا الشعور تجاه الموت فى نفس سيمونيديس عدم انضمامه لأى من العبادات السرية مثل الأورفية وغيرها ، التى كانت تعد أتباعها بحياة سعيدة فى العالم الآخر وتنزع من نفوسهم الخوف من الموت[٣١] .

ولقد كتب سيمونيديس عن الإنسان والموت يقول :

« إن قوة البشر ضئيلة ، وأن ما يخططون له قد لا يسعهم تحقيقه . ففى حياتهم القصيرة لا ينالون سوى المتاعب ثم ينقض عليهم الموت الذى لا مهرب منه ، وبدون تمييز يساوى بين النبيل والوضيع »[٣٢] .

وفى أحد أشعاره التى يخاطب فيها كلياس بمناسبة موت صديقه ميجاكليس يقول سيمونيديس :

« كلما رأيت قبر ميجاكليس الهالك فإننى أشفق عليك ، أيها التعس كالياس ، لما كابدته ».

فالموت لا يثير فى نفس سيمونيديس سوى الحسرة والألم والحزن ، فلا أمل فيما يأتى بعده ولا تطلع لحياة أخرى .

ولقد برع سيمونيدس أكثر ما برع فى كتابة القبريات ، حتى أصبح هذا الفن ينسب إليه دون غيره[٣٣] .

ولكنه ، مع ذلك ، يسخر من أولئك الذين يحاولون تخليد أنفسهم سواء ببناء التماثيل الضخمة ووضعها فوق القبور ، أو بكتابة شواهد القبور الفخمة ، ويقول عنهم[٣٤] :

« من من أولئك الذين يثقون فى قدرتهم الذهنية
سيمدح كيلوبولوس من ليندوس
عندما يتحدى الأنهار الخالدة والزهور الربيعية اليانعة

ووهج الشمس الساطعة ، وأشعة القمر الفضية
ودرامات البحر العاصفة
يتحدى كل ذلك بشاهد قبر حجرى ؟
كل الأشياء أقل قدرا وقدرة من الآلهة
فهذا الحجر نفسه يمكن أن تسحقه أيد بشرية
وأحمق من ظن أن مثل هذا الحجر يخلّد ذكراه »[٣٦] .

فى حين تأخذنا الشاعرة الليسبية الرقيقة سافو من خضم النظرة السوداوية للموت ، والعالم الآخر . فهى تؤكد فى أشعارها أن كل من جنى شيئا من ورود بيريا (وتعنى بها الفنون) ، فسوف يخلد بعد موته وسيلقى مصيرا مشرفا فى العالم الآخر .

تخاطب سافو إمرأة جاهلة لم تعرف شيئا من الفنون فتقول لها إنها ستهيم فى العالم الآخر . مهملة غير مأسوف على موتها . أما سافو فستبقى أبد الدهر خالدة بفضل أغانيها التى ألهمتها إياها الآلهة[٣٨] . لذلك فإن سافو لا تخشى الموت ، بل إنها فى بعض اللحظات تتوق لملاقاته ، فعندما تشتد بها المحن ، وتضيق بها السبل لا تجد المهرب أو الخلاص سوى فى الموت ولقد عبرت عن هذه الرغبة بدرجة عالية من الصدق تجعل من يقرأ أشعارها يلمس رغبتها الأكيدة فى الموت »[٣٩] .

فقد كتبت سافو :[٤٠]

« إن رغبة فى الموت تتملكنى ، وأتشوق
لرؤية شواطئ أخيرون الندية
المغطاة بأزهار اللوتس » .

ومن المحتمل أن سافو كانت تأمل فى أن تلقى نفس مصير أورفيوس وأن تسكن السهل الألوسى بعد موتها ، وتبقى خالدة فى ذاكرة الزمان[٤١] .

أما الشاعر أناكريون الذى ولد عام ٥٧٠ ق .م ، والذى كتب العديد من الأشعار الجميلة التى تمتاز بسلاسة لغتها ، فقد تملكته مشاعر الكراهية تجاه الموت والشيخوخة ، حيث يقول :

« كَسى المشيبُ فَوْدِى ، واشتعل الرأس شيبا
ولم تعد خطوة الشباب الرشيقة تلازمنى ونخرت الشيخوخة
أسنانى وصرت من الموت قاب قوسين أو أدنى

ومن أجل هذا أبكى وأتألم وترتعد فرائصى فرقا من تارتاروس
فأغوار هاديس رهيبة مفزعة والطريق إليه مفروش بالأحزان
وليس هناك أمام من يهبط إليه وسيلة للصعود »[٤٢]

وأناكريون – كما يقول C.M. Bowra لايسمح بأية أفكار خادعة حول فكرة الموت ولا يرى أى عزاء فى اقتراب الشيخوخة ثم الموت[٤٣] .

وأعظم الشعراء الغنائيين الذين عرفتهم بلاد الإغريق هو بنداروس ، وله من الثقل فى مجال الشعر الغنائى مثل ما لهوميروس فى مجال الشعر الملحمى ، ولكن الاختلاف حول الموت والعالم الآخر بينهما اختلاف بيّن .

فبينما يرسم هوميروس صورة باهتة لحياة الأرواح فى العالم الآخر ، صورة تخلو معالمها من الوضوح والتحديد ، فإن بنداروس يقدم من خلال أشعاره صورة مختلفة تمام الاختلاف ، وهو يؤمن بأن الموتى يحاسبون بعد موتهم على أفعالهم فى الحياة الدنيا ، وأن كلا من الصالح والطالح يلقى مصيرا يتفق وما قام به من أعمال فى دنياه[٤٤] .

ويقول السيد Norwood: أن بنداروس قد ترك لنا أشعارًا حول الروح ومصيرها بعد الموت تمتاز بالجمال وقوة التأثير بشكل لم يسبقه إليه أى وثنى[٤٥] .

وفكرة خلود الروح فكرة قديمة ومطروقة ، لكن بنداروس هو أول من وضح أن الروح خالدة لأنها إلهية[٤٦] ، فهو يقول :

« إن أجساد جميع البشر خاضعة للموت القاهر
أما ذلك الطيف (الروح) الكامن فى داخلهم فيبقى
لأنه وحده آتى من الآلهة ، فهو ينام
حينما تنشط الأعضاء وعندما تنام ، فإنه
يطلعنا فى أحلام عديدة على ما سيأتى من نعم ونقم »[٤٧]

وفى « الأوليمبية الثانية » تظهر لأول مرة فى الأدب الأوربى عامة فكرة أن الموتى فى العالم الآخر يحاسبون على أساس أخلاقى بحت . فقد كتب بنداروس :

« إن أرواح الموتى الشريرة تلقى جزاءها هناك
فتحت الأرض هناك من يعاقب على الخطايا التى ارتكبت
فى الحياة الأولى ، وهو يلقى حكمه فى عدوانية وصرامة

لكن أرواح الصالحين تنعم دائما بأشعة الشمس
وهم يحيون حياة سهلة ميسرة
إن أولئك الذين حفظوا إيمانهم يحيون
حياة خالية من الدموع بجانب الآلهة ، أمّا الآخرون
فيعيشون فى عذاب لا تستطيع عين أن تراه
أما كل من تحمل ، وحفظ روحه نقية ، لمدة ثلاث دورات
فإنه سينقل إلى برج كرونوس عبر طريق زيوس
وحول جزر المباركين تهب رياح المحيط
وتشع الزهور الذهبية ، بعضها (سقط) على الأرض
من الأشجار المتلألئة ، وبعضها يعيش فى المياه
وسوف تزين أيديهم وجباههم أكاليل مما جدلوه بأنفسهم
بينما يجلسون بجانب عرش رادامانثوس ، الذى عينه
زيوس القوى ، ليقدموا له المساعدة كمستشارين عادلين[٤٨]

فى هذه الأوليمبية تظهر بوضوح تأثيرات العقيدة الأورفية ، ويؤمن بنداروس أن كل من تلقى أسرار هذه العقيدة سوف يلقى مصيرا أفضل بعد الموت . وهو ما يذكره أيضا فى « المراثى »[٤٩] :

مبارك هو الذى رأى هذه الأشياء
قبل رحيله إلى باطن الأرض فقد عرف نهاية الحياة
كما عرف بدايتها على يد الإله زيوس

هذه الإشارات والشذرات وغيرها تعكس تعاليم العقيدة الأورفية[٥٠] ، بل إنها تشبه فى مضمونها «الألواح الذهبية» التى كانت توضع فى قبور الموتى من أتباع تلك العقيدة[٥١] .

وإذا ما انتقلنا إلى المسرح الإغريقى ، وهو قمة تطور هذه الأشكال الفنية ، والبوتقة التى انصهر فيها الموروث الأدبى ليخرج فى صورة أكثر جمالا وبهاء ، سنجد أن الإله ديونيسوس ، الذى انبثق المسرح من طقوس عبادته ، قد ذاق مرارة الموت على يد التيتان لكنه بعث مرة أخرى ، فهو لذلك يجسد الحياة والموت معا .

والموت والعالم الآخر هو الموضوع الذى نكرس له هذه الدراسة ونعالجه تفصيلا من خلال فصولها المختلفة ، لكننا نود هنا أن نستخلص بعض الآراء التى وردت فى التراجيديات الإغريقية حول الموت .

فالموت هو النهاية الطبيعية لكل حياة[٥٢] وهو آخر رحلة يقوم بها إنسان[٥٣] . لذلك لا يجب الحكم على إنسان بأنه سعيد أو شقى إلا بعد انتهاء هذه الرحلة ، أى بعد موته[٥٤] .

والموت فى حد ذاته كريه ، والخوف منه من أبرز العوامل التى شكلت اللاهوت الإغريقى[٥٥] . ولقد ظهر الخوف من الموت فى كل ما خلفه الإغريق من شعر ملحمى وغنائى ومسرحى ، وحتى فى الرسوم والنقوش الجنائزية .

ولعل أبرز ما يوضح خوف الإغريق ونفورهم من الموت ، أنهم اعتبروه نوعا من الدنس[٥٦]؛ فمن العادات الاجتماعية التى شاعت فى أثينا وضع إناء يحتوى على ماء نظيف بجانب بيت المتوفى ليغسل كل من يخرج من البيت يديه ويطهرها من دنس الموت[٥٧] .

رغم الخوف والكراهية المتأصلة فى نفوس الإغريق تجاه الموت ، فإن بعض الشخصيات المسرحية كانت تتشوق إليه وترى فيه الخلاص والراحة. ولا يعنى هذا أن ذلك كان سمة عامة فى المسرح ، لكن بعض الشخصيات تفضل الموت على الحياة بسبب ظروفها الخاصة : فعندما تصبح آلام العيش أكثر مما يحتملها إنسان ، فليس هناك أفضل من الموت[٥٨] .

وعندما يفقد الإنسان كل أمل فى الحياة ويرى أن لا شىء هناك يستحق أن يحيا لأجله ، فإنه يفضل الموت على حياة هذا طابعها[٥٩] . وعندما يكون لزاما على إنسان أن يلقى الموت فيجب أن يلقاه بشجاعة ولا يجبن فى مواجهته[٦٠] ، فالموت المشرف لا يقل فى قدره عن الحياة ذاتها .

إن أهم ما يحزن أليكترا فى حادثة مقتل أبيها أجاممنون ، هى الطريقة التى مات بها وليس الموت نفسه[٦١] ، فلو أنه مات ميتة تليق به فى ساحة الوغى لما حزنت كل ذلك الحزن[٦٢] .

والناظر فى المسرحيات الإغريقية لابد وأن يخرج بملاحظات أخرى حول رؤية الإغريق التى تفرق بين موت الرجل وموت المرأة. إذ يبدو أن الوضع الاجتماعى المتدنى للمرأة الإغريقية ، ونظرتهم إليها باعتبارها مواطنا من الدرجة الثانية ، قد انعكس فى تقييم المجتمع لموتها . فقد نظر المجتمع الإغريقى لموت الرجل على أنه كارثة كبرى فهو يحمل

اسم العائلة وبموته ينتهى ذكرها ، لكن موت المرأة ليس بذى قيمة . لذلك تقول افيجينيا لاورستس إنها على استعداد أن تموت بنفس راضية كى تنقذه ويصل بيته سالما لأنه بموت الرجل تنهار الأسرة ، أما موت النساء فلا قيمة له[٦٣] .

ويتكرر هذا المعنى مرة أخرى على لسان أفيجينيا فى مسرحية « أفيجينيا فى أوليس » حين تقول إنه من الأفضل أن تموت عدة نساء لو أن ذلك يحفظ لرجل واحد حياته[٦٤] . ورغم أن هذه الإشارة محددة بزمن الحرب ، فإنها تنطلق كذلك من نظرة المجتمع وتقييمه للمرأة حية وميتة .

ولقد ظل الموت لغزا محيرا لا تستطيع عقول البشر أن تفسره. ورغم تعدد المذاهب الفلسفية والمعتقدات الدينية التى تناولت ظاهرة الموت ، ظل الموت غامضا ، وسيظل كذلك لأنه الشيء الوحيد الذى لم يستطع الإنسان—رغم كثرة منجزاته وعظمتها[٦٥] — أن يجد له علاجا ، أو أن يفلت من بين براثنه .

لذلك نسمع من سوفوكليس قوله:

« كثيرة هى العجائب فى الحياة ، ولكن ما أكثر مدعاة للعجب من الإنسان : فهو يمخر عباب البحر المزبد تسوقه ريح الجنوب العاصفة ، ويشق طريقه عبر وديان أليم ذات أمواج متلاطمة . فهو ينهك الأرض أقدم الأرباب والتى لا سبيل إلى إفنائها ، ويقلب تربتها بالمحراث والخيل عاما بعد عام . قبض فى قبضته طيور الفضاء الرشيقة ووحوش الفلاة الضارية والكائنات التى تتخذ المحيط مقرا لها وأوقعها فى براثن شباكه دقيقة الصنع أنه الإنسان ذو الدهاء البالغ ، سيد الوحوش التى تجول فى الحقول أو تجوس فوق الجبال . روض الجواد ووضع النير على عنق الثور الذى يتناثر الزبد من شدقيه . تعلم استخدام اللغة والأفكار التى تماثل الريح فى سرعتها ، وابتكر القرارات الحاسمة التى تنظم الحياة الجماعية فى المدن ، وعرف كيف يتقى لدغات الصقيع القارسة وشر الجو العاصف . ليس هناك أمر بعيد عن سلطانه أو معضلة تستعصى على مقدرته ودهائه . وجد لكل داء دواء ما خلا الموت الذى لم يجد منه مفرا أو مهربا » .

الهوامش

(١) Taylor, H. O.: Ancient Ideals, p. 171 .

(٢) Homer: Ody. 111, 236 - 238.

(٣) Guthrie. W. K. C.: Orpheus and Greek Religion p. 149 "In Homer the generally accepted notion is that death is the negation of all the attributes that make life worth living" .

(٤) Homer. 111, 3 - 4.

(٥) Taylor, H. O.: Op. Cit. p. 161.

(٦) Homer: Ody. XI, 489 - 491.

(٧) د . لطفى عبد الوهاب : « عالم هوميروس » عالم الفكر . مجلد ١٢ العدد ٣ لسنة ١٩٨١م .

(٨) Homer: Il, Iv, 279 - 282 .

(٩) Hesiod: theog. 116 - 153.

(١٠) عن التشاؤم فى قصائد هسيودوس وتأثيره فى المسرح الإغريقى أنظر : F. Solmsen : Hesiod and Aeschylus pp. 124 ff.

(١١) يقول العالم M. I. Finley عن ارتباط الشعر بالمجتمع :
"Poetry underwent a series a of interesting changes, reflecting something of the history of Greek society itself" Finley. M. I: The Ancient Greeks P. 92.

(١٢) Bowra, C. M; Early Greek Elegists p. 6.

(١٣) Frag. 1, 18 - 21 .

(١٤) Bowra, C. M.: Op. Cit. pp. 17 - 18.

(١٥) Frag 2, and Bowra, C. M.: Op. Cit. pp. 19 - 20.

(١٦) Oliva, P.: The Birth of Greek civilization. P. 173.

(١٧) Bowra, C. M.: Op. Cit P. 42 .

(١٨) Ibid, P. 66.

(١٩) Frag. 9. 27 - 32.

(٢٠) Frag. 22. 5 - 6.

(٢١) 243 - 247 .

(٢٢) Bowra , C . M . : Op . Cit . p . 166 .

(٢٣) 425 - 428 .

(٢٤) سوفوكليس : أوديب فى كولونوس ١٢٢٥ – ١٢٢٨ .

(٢٥) Bowra . C . M . : Greek Lyric poetry . P . 312 .

(٢٦) Ibid, p. 322 .

(٢٧) Oliva , p . Op . Cit p . 177 .

(٢٨) Bowra , C . M . Op . Cit . p . 325 .

(٢٩) Frag . 9 D .

(٣٠) كانتا خاربيديس وسكيلا فى الأساطير الأغريقية اثنتين من وحوش البحر ، تعيشان فى كهوف تقع على طرفى مضيق مسينا ، الذى يفصل بين إيطاليا وصقلية .

ويقال أنهما كانتا تلتهمان بحارة السفن المارة بهذا المضيق . ولقد كانت سكيلا فى الأصل حورية جميلة أحبها جلوكوس ، وحينما طلب من كيركى أن تعطيها دواء الحب الساحر أعطتها كيركى سما حوّلها إلى وحش . ويتجسد خاربيديس على هيئة دوامة مخيفة قاتلة .

Lexicon universal Encyclopedia , Vol 17 , S . Scylla and Charybodis .

(٣١) Bowra , C . M . Greek lyric poetry p . 324 .

(٣٢) Frag . 9 . D .

(٣٣) Bowra . C . M . op. cit. p. 341.

(٣٤) Ibid. p. 322.

(٣٥) Frag. 581.

(٣٦) هذه ترجمة د . أحمد عتمان لهذه الشذرة لسيموندس والتى نشرها فى كتابة الشعر الأغريقى « تراثا إنسانيا وعالميا» ص ١٦٢ .

(٣٧) بيريا هى مقاطعة فى شمال تساليا ويقال أن ربات الفنون كن يسكنها .

(٣٨) Frag . 55 .

(٣٩) Bowra , C . M . : Greek lyric poetry p : 129 .

(٤٠) Frag 95 , 11 - 13

(٤١) Bowra , C . M . , Greek lyric poetry p . 207 .

(٤٢) Ibid. p. 30.

(٤٣) Ibid . p . 306 Anacreon allows himself no illusions and no consolation about age or death" .

(٤٤) Muller , K . O : History of literature of Ancient Greece p . 229 .

(٤٥) Norwood , C : Pindar , P . 60 .

(٤٦) Ibid . p . 61 .

(٤٧) Frag. 116.

(٤٨) Pindar : Second Olympian . VU 56 - 80 .

(٤٩) Frag . , 121 , 137 a .

(٥٠) Norwood , G. Op. Cit p . 61 ; Dickinson , G. L : The Greek view of life , p . 40 .

(٥١) Adkins , A . W . H . Merit and Responsibility , p . 141 .

(٥٢) سوفوكليس : أوديب فى كولونوس ١٢٢٤ .

(٥٣) سوفوكليس : بنات تراخيس ٨٧٤ – ٨٧٥ .

(٥٤) المصدر السابق ١ – ٣ .

(٥٥) Brandon, J. G. F : The Judgment of the Dead p .95 . The fear of death was the primary which inspired the eschotology of both Greek and Graeco - Roman Society" .

(٥٦) Adkins , A . W . H . Op . Cit . p . 89 .

(٥٧) Guhl & Koner ; The Life of the Greeks and Romans p . 290 .

(٥٨) يوريبديس: «هيكابى» ١١٠٧–١١٠٨، قارن ايسخولوس : بروميثوس فى الأغلال ١٥١ – ١٥٩ .

(٥٩) يوريبديس : هيكابى ٣٦٦ – ٣٧٦ .

(٦٠) يوريبديس : « ايفجينيا بين التاوريين » ٤٨٦–٤٨٧ ، « الطروادیات » ٤٠٠ – ٤٠٣ .

(٦١) ايسخولوس : حاملات القرابين ٤٤٥ – ٤٥٠ .

(٦٢) المصدر السابق ٣٤٥ – ٣٥٣ .

(٦٣) يوريبديس : « ايفجينيا بين التاورين » ١٠٠٢ – ١٠٠٦ .

(٦٤) يوربيديس : « ايفيجينيا فى أوليس » ١٣٩٢ – ١٣٩٤ .
(٦٥) سوفوكليس : انتيجونى ٣٣٢ – ٣٧٥ .

obeikandl.com